رسالة إلى الأحبة المشاركين في حملة (معاً نبني مصر)

الثلاثاء 19 مارس 2013 12:03 م

أ. د. عبد الرحمن البر :

وافعلوا الخيرلعلكم تفلحون:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد؛ فقد قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فقرن سبحانه وتعالى بين الركوع والسجود والعبادة وفعل الخير في قرن واحد؛ تأكيدا على شمولية معنى العبادة الحقيقية لله ومعنى الإيمان الحقيقي به، الذي لا يتأخر فيه فعل الخير عن درجة الركوع والسجود والعبادة، وهو ما دل عليه قول الله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)

فرسالة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم رسالة عامة شاملة، تهدف مع إصلاح العبد عَلاقتَه بربه، وإصلاحه لنفسه؛ إلى إصلاح كل أفراد وفئات المجتمع، والدفع بها في ميدان العمل الصالح، الذي يعود على النفس وعلى الغير بالنفع في الدنيا وفي الآخرة؛ ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمعا مثاليا، ينطبق عليه ما أراده الله لهذه الأمة من خيرية على سائر الأمم (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ).

ومن ثَمَّ كانت توجيهات الإسلام للفرد وللأمة بالإيجابية والإسهام الجاد في عمل الخير، وكان التحذير النبوي من الإمعية التي تهوي بالأمة نحو السقوط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا». ودعا الأمة إلى التعاون في عمل الخير، فقال تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ).

وإنما يتحقق هذا بتكوين مجموعات من العاملين المتعاونين، الذين يجعلون من أهم وسائل تَقَرُّبهم إلى الله زلفى: إسعادَ الناس، وتحقيقَ رغباتهم في العيش الكريم، وقضاءَ حوائجهم، وتخفيفَ معاناتهم وآلامهم، وإعانتَهم على مواجهة مصاعب الحياة، وإعادةَ البسمة إلى وجوههم، وهي الأهداف التي تصدَّى لها الإخوةُ والأخوات المشاركون في حملة (معا نبني مصر)، ولهذا أود أن أذكر هؤلاء الإخوة والأخوات ببعض المعاني في هذا الصدد:

أولها: أن يدرك المشاركون دائماً أنهم في عبادة، فيجتهدون في إخلاص النية لله، فداخل

مجموعة العمل يتربَّى المسلمُ على تطهير نفسِه، وتصحيح نيَّتِه، والقربِ من ربه، واستشعار مراقبتِه في سرِّهِ وعلانيتِه، فلا يؤثر في مشاركتِه واجتهادِه مدحُ المادحين ولا ذمُّ القادحين، بل يُسْلِم وجهَه لله وهو محسنٌ، فيكون مستمسكا بالعروة الوثقى، مأجورا عند الله تعالى.

وثانيها: أن يتذكر دائما أنه صاحبُ دعوة ورسالة، عليه أن يتواصل مع الآخرين لتحقيقها، فيحرص على الاتصال بإخوانه المشاركين، وتقوية صفوفهم، ويشعر بقوته وهو بجانب إخوانه، كما يحرص على الاتصال بجماهير الناس الذين يقدم لهم خدمته، والشعور بآلامهم، والاهتمام بجميع شئونهم، وبهذا تتربى روحُ الأخوة والألفة والمحبة بين الجميع، فيعيشون عالمهم الإيماني الخالي من التنافسات، والتطاحنات، وحروب الطبقات. ومن ثم يحس المشارك بالرسالة التي كُلف بأدائها، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل الخير، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وثالثها: إحياء قيمة الوطنية والانتماء في نفوس المواطنين، سواء الذين يشاركون في تقديم الخدمة أو المستفيدون منها، إذ حب الوطن واجب شرعي، وفطرة طبيعية جُبلت عليها النفوس، وعلامة واضحة على استقامة الطباع، ولله در عمر بن الخطاب إذ يقول: «عمَّر الله البلدان بحب الأوطان»، وسئل أعرابي عن سرِّ حُبِّه الشديد لبلده، فقال: «رملة حضنتني أحشاؤها، وأرضعتني أحساؤها (يعني مياه أرضها)»، وقيل لأعرابي: أتشتاق إلى وطنك؟ فقال: كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها؟ وكانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه، وتستسفه، وتطرحه في الماء إذا شربته، ويقولون: «لولا حبُّ الوطن لخرب بلد السوء».

كيف لا، وقد قرن الله جل ذكره الإخراج من الوطن بالقتل، فقال تبارك وتعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)، وجعل القتال ثأراً للإخراج من الأوطان، فقال جل وتعالى: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)، وهؤلاء قوم شعيب يستغلون هذه العاطفة الطبيعية نحو الوطن في نفس سيدنا شعيب، فيقولون له (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) فخيَّروه بين الخروج من وطَنه وبين الكفر، وهو ما يفعله الطغاة دائما حين يستغلون عاطفة حب الوطن ويهدِّدون أنبياءهم والصالحين من قومهم بإخراجهم من الأوطان إذا أصروا على مبادئهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)، وعدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الإخراج عن الوطن عقوبة، حين جعل النفي من الأرض عقوبة للزاني الذي انتهك الحرمات.

إن قضية حب الوطن من أهم القضايا التي ينبغي أن ننشغل في حملتنا بتأكيدها وغرسها في نفوس بني وطننا وأمتنا.

ورابع هذه المعاني: أن يقدم الأخ المشارك في الحملة رسالته إلى أصحاب الأموال ورجال الأعمال والشباب الناشط المشارك في العمل، مذكراً إياهم بما لهم عند الله من أجر، متى أخلصوا النية وصدقوا الله، وأنهم بجهدهم هذا يكسبون رضا ربهم وتقدم أمتهم ومجتمعهم، ويلفت نظرهم إلى حالة السرور التي يدخلونها على المستفيدين من أعمالهم، والبسمة التي يرسمونها على وجوه المنتفعين بخدماتهم، والصورة الرائعة التي يقدمونها للعالم عن مجتمعهم، وهنا نذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ». وما رُوي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ بِالنَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ خَلَوْا مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُجَدِّثُهُمْ وَيُجَدِّثُونَهُ، وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ»، وما رُوي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلُقَانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، وَخُلُقَانِ يَبْغَضُهُمَا اللهُ، فَأَمَّا اللَّذَانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: فالسَّخَاءُ وَالسَّمَاحَةُ، وَأَمَّا اللَّذَانِ يَبْغَضُهُمَا اللهُ فَسُوءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ»، وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تُدْخِلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ سُرُورًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا».

وقد ورد أن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ، كَمَا تَوَاضَعُونَ فَكَذَلِكَ تُرْفَعُونَ، وَكَمَا

تَرْحَمُونَ كَذَلِكَ تُرْحَمُونَ، وَكَمَا تَقْضُونَ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ فَكَذَلِكَ اللهُ تَعَالَى يَقْضِي مِنْ حَوَائِجِكُمْ».

وروي عن أَنَس بْن مَالِك، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَتِ امْرَأَةٌ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَةٌ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ فَقَالَ لَهَا: «هَلُمَّ تَكَلَّمِي بِحَاجَتِكِ»، فَقَامَتْ فِي مَقَامِهِ فَكَلَّمَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَاجَتِهَا ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا قَرَابَةٌ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَعَرَفْتَهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَرَحِمْتَهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ كَمَا رَحِمْتَهَا».

وها هنا لا بد أن نُذكِّر أهل الصلاح وذوي القدرة واليسار بنعمة الله عليهم، وأن استبقاء النعمة وزيادتها يكون بشكرها وأداء حق الله فيها وقضاء حوائج العباد منها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ؛ فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعَمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ، فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَإِنْ تَبَرَّمَ بِهِمْ فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ».

وكان الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: «أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكُمْ؟ فَاحْذَرُوا أَنْ تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَصِيرَ نِقَمًا». وكان مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعَمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكُمْ، فَلَا تَمَلُّوهَا فَتُحَوَّلَ نِقَمًا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا أَفَادَ ذُخْرًا، وَأَوْرَثَ ذِكْرًا، وَأَوْجَبَ أَجْرًا، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا لَرَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ، وَيَفُوقُ الْعَالَمِينَ».

ويُرْوَى عن علي بن أبي طالب أنه قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهم جميعا: «يا جابر، من كَثُرتْ نِعَم اللهِ عزَّ وجلَّ عليه كثُرتْ حوائِجُ الناس إليه، فمن قام بما يجب عليه لله عزَّ وجلَّ فيها فقد عرَّضَها للدَّوام والبَقاء، ومن لم يَقُمْ بما يجب عليه لله فيها فقد عرَّضَها للزَّوَال والفَنَاء» ثم قال شعرا:

ما أحسَنَ الدُّنْيا وإقْبالَها إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نَالَهَا

وخامس المعاني التي ألفت النظر إليها: أن يدرك الإخوة والأخوات المشاركون أنهم بصنيعهم الطيب هذا يؤدون زكاة النعم الكثيرة التي أنعم الله بها عليهم، من صحة وعلم ودين ، وقديما كَانَ يُقَالُ: «زَكَاةُ النِّعَمِ اتِّخَاذُ الصَّنَائِعِ وَالْمَعْرُوفُ»، ومن لطيف ما جاء عن السلف ما رُوِي عَنِ الثَّوْرِيِّ، قَالَ: كَانَ مَنْصُور بن عمار يَقُولُ لِلْعَجُوزِ مِنْ عَجَائِزِ حَيِّهِ: «لَكِ حَاجَةٌ فِي السُّوقِ؟ لَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَ السُّوقَ»، فهؤلاء الشباب حين يتواصلون مع ذوي الحاجات ويبذلون لهم الخدمات يعيدون إلى الحياة روحها بأخلاق هذا السلف الصالح .

وعلي الشباب المشارك في هذه الأعمال الصالحة أن ينشروا معاني الكرامة والعزة في نفوس المستفيدين من الخدمات الطبية أو الغذائية أو الإنسانية التي يقدمونها لهم، باعتبار أن الإسلام يجعل كل ذلك حقا للمرء على أخيه، وأن الأمة المسلمة في مفهوم الإسلام العظيم أمة متكافلة يحمل قويُّها ضعيفَها ويكفل غنيُّها فقيرَها، من غير مَنٍّ ولا أذى، ويتساوى كلُّ أفرادها في الكرامة والحق في العيش الكريم، ورائدُها قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

وفي الأخير، فالأخ المشارك في هذه الحملة المباركة هو داعية إلى الإسلام بعمله وسلوكه، مثلما هو داعية بفكره ومقاله، والدعوة بالسلوك أقوى وأقوم من الدعوة النظرية، ولهذا كان تقديم القدوة من النفس أعظمَ أسباب النجاح لأصحاب الدعوات، وهذا سيد الدعاة الأكرم صلى الله عليه وسلم يقول لنا عنه الحق جل وعلا (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا). وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أستاذ الحديث وعلومه وعميد كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر بالمنصورة
وعضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين وعضو الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين